حـرف الـزَّاي

الزُّبَيْرُ بن العَوَّام رضي الله عنه

الفارس الهُمام

صحابي، قرشي، أسدي، أبوه «العوام بن خويلد بن أسد»، وأمه «صفية بنت عبد المطلب» عمة رسول الله ﷺ، فهو ابن عمة رسول الله ﷺ، وابن أخي «خديجة بنت خويلد» زوج النبي ﷺ، كنَّته أمه «أبا الطاهر» بكنية أخيها «الزبير بن عبد المطلب»، واكتنى هو: بأبي عبد الله، و«عبد الله» ولده من زوجه «أسماء بنت أبي بكر الصديق» ـ ذات النطاقين ـ أسلم مبكراً بعد «أبي بكر الصديق» بيسير، وقيل: كان ترتيبه رابعاً أو خامساً في الإسلام.

وقد عُذِّب في الله بعد إسلامه، وهو صغير، فكان عمه يلفه بحصير، ويعلقه من رجليه، ثم يشعل ناراً تحته ليؤذيه بدخانها، ليعود إلى الكفر، فيقول: لا أكفر أبداً، ولما اشتد تعذيب قريش لأصحاب النبي ﷺ، أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة ليعبدوا الله على أرض ملك لا يظلم عنده أحد، وكان «الزبير» في طليعة أولئك المهاجرين، فعاشوا هناك في أمان وسلام، وسعادة ووئام، ولقوا من ملك الحبشة «النجاشي» أحسن رعاية، وأكرم عناية، وأقاموا عنده بخير دار، مع خير جار.

وتقول أم سلمة: [فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، قالت: فوالله، ما علمتُنا حَزِنَّا حزِناً قط كان

أشد علينا من حُزْنٍ حَزِنَّاه عند ذلك، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على «النجاشي»، فيأتي رجلٌ لا يعرف من حَقِّنا ما كان «النجاشي» يعرف منه، قالت: وسار إليه «النجاشي» وبينهما عُرْضُ النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ وعلى آله: من رجلٌ يخرج حتى يحضر وقيعة القوم، ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال «الزبير بن العوام»: أنا، قالوا: فأنت؟ وكان من أحدث القوم سنّاً، قالت: فنفخوا له قربة، فجعلها في صدره، ثم سَبَحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فوالله، إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع «الزبير» وهو يسعى، فلمع[1] بثوبه، وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر «النجاشي»، وأهلك الله عدوه، ومكَّن له في بلاده.

قالت: فوالله، ما علمتُنا فرحنا فرحةً قط مثلها، قالت: ورجع «النجاشي»، وقد أهلك الله عدوه، ومكَّن له في بلاده، واستوسق[2] عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة[3].

قال أبو سعيد الأشج: حدثنا أبو عبد الرحمٰن بن منصور العنزي اسمه: النضر، عن عقبة بن علقمة اليشكري، قال: سمعتُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: سمعت أذني رسول الله ﷺ يقول: **(طلحة والزبير جاراي في الجنة)**.

كان «الزبير» أحد الستة والثمانية والعشرة، أما الستة فهم رجال

---

(١) لمع بثوبه وألمع: حركه ليراه غيره فيجيء إليه.
(٢) استوسق: اجتمع.
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

الشورى، وأما الثمانية فهم السابقون للإسلام، وأما العشرة فهم المبشرون بالجنة، فهنيئاً لأبي عبد الله، هذه المكرمات!

وبعد رجوع المهاجرين من الحبشة إلى مكة، تزوج ذات النطاقين «أسماء بنت الصديق»، ثم خرج بها مهاجرين إلى «يثرب» وهي حامل بولده «عبد الله».

وكان «الزبير» من أمهر الفرسان، وكبار الشجعان، وهو أول رجل سلَّ سيفاً في الإسلام، فقد سمع نفخة نفخها الشيطان ـ كما في حلية الأولياء ـ: أُخِذَ رسول الله ﷺ، فخرج يَشُقُّ الناس بسيفه، والنبي ﷺ بأعلى مكة، فلقيه، فقال: (ما لك يا زبير؟) قال: أُخْبِرتُ أنك أُخِذْتَ، قال: فصلى عليه، ودعا له ولسيفه.

وفي مكة آخى رسول الله ﷺ بين «الزبير» وبين «عبد الله بن مسعود» أما في المدينة فكان أخوه من الأنصار «سلمة بن سلامة بن وَقْش».

وقال ابن الأثير[1]: أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن أبي حبة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، أخبرنا زكرياء بن عدي، أخبرنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن مروان، ولا أخاله يتَّهَمُ علينا، قال: أصاب «عثمان» الرُّعاف سنة الرُّعاف، حتى تخلف عن الحج، وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش، فقال: استخلف، قال: وقالوه؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: فسكت، ثم دخل عليه رجل آخر، فقال مثل ما قال الأول، ورد عليه نحو ذلك، قال: فقال «عثمان»: «الزبير بن العوام؟» قال: نعم، قال: أما والذي نفسي بيده، إنْ كان لأخيرَهُمْ ـ ما علمت ـ

(١) أسد الغابة (٢/ ٢٠٩).

وأحبَّهم إلى رسول الله ﷺ.

وقال «الزبير»: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم قريظة فقال: (بأبي وأمي).

وعن «عليّ بن أبي طالب» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن لكل نبي حوارياً وحواريَّ، الزبير بن العوام)**.

وشهد «الزبير» بدراً مع المسلمين، وكان عليه عمامة صفراء معتجراً بها، فيقال: إن الملائكة نزلت يومئذٍ على سيماء الزبير. وقد أبلى في تلك المعركة أحسن البلاء، حين برز له من جانب قريش فارس صنديد، لا يرى منه إلا الحديد، إلا ما كان من ثقبتين في الوجه بدت عينا الفارس خلفهما، ثم شدَّ عليه «الزبير» وغرز عَنزتَهُ بين عينيه، وسقط (عبيدة بن سعيد بن العاص) بطل قريش جثة هامدة ما بها من حَرَاك، ولحقت به رؤوس الشرك الواحد تلو الآخر يترسمون خطاه، ونالوا سوء المصير.

وشهد «الزبير» جميع المشاهد مع رسول الله ﷺ، فحضر «أُحداً» و«الخندق» و«الحديبية» و«خيبر» حيث بارز فارس يهود «ياسراً» أخا «مرحب»، فصرعه «الزبير» واكتحلت عيناه بفتح مكة، ثم شهد «حنيناً» وكان مع الذين ثبتوا حول رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى الطائف.

وجاء في حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما انتقض حِرَاء، قال: **(اسْكُنْ حِرَاء، فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد)**، وكان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن، وسعد، وسعيد بن زيد.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

[التكاثر: ٨] قال الزبير: يا رسول الله! وأي النعيم نسأل عنه، وإنما هو الأسودان: التمر والماء؟ قال: (**أما إنه سيكون**). وخرج «الزبير» ومع رسول الله ﷺ ذات مرة، فأغفى رسول الله ﷺ، وبات «الزبير» يحرسه، فلما صحا، قال له: (**يا أبا عبد الله، لم تَزُلْ؟**)[1] قال: لم أَزُلْ، بأبي أنت وأمي! يا رسول الله! قال النبي ﷺ: (**هذا جبريل يقرئك السلام، ويقول لك: أنا معك يوم القيامة حتى أَذُبَّ**[2] **عن وجهك شرر جهنم**).

وكان «الزبير» يردف ابنه «عبد الله» إذا خرج إلى ساحات القتال، ليدربه على قراع الأبطال، وكان شديداً على النساء، حتى لقد أقدم على ضرب «أسماء»، فاستغاثت بابنها «عبد الله» فلما أراد أن يقتحم عليهما الباب، قال له أبوه: إذا دخلت فأمك طالق، ولم يكترث «عبد الله» لقول أبيه، فدخل فبانت ذات النطاقين، وتم الفراق بين الزوجين، المبشرين بالجنة.

وكان «الزبير» كثير البذل والإحسان، وكان له ألف مملوك، يؤدون إليه الخراج، فما يدخل إلى بيته منها درهماً واحداً، وكان يتصدق بذلك كله، فمدحه «حسان» فقال:

أقام على عهد النبي وهَدْيه ... حواريُّه والقول بالفعل يُعدَلُ
أقام على منهاجه وطريقه ... يوالي وليَّ الحق والحق أعْدَلُ
هو الفارس المشهور والبطل الذي ... يصول إذا ما كان يوم مُحَجَّلُ
وإن امرءاً كانت صفية أمه ... ومن أسدٍ في بيته لَمُرَفَّلُ[3]

---

(١) لم تَزُلْ: لم تتحول عن مقامك.
(٢) أَذُبَّ: أدفع.
(٣) مُرَفَّل: معظَّم.

لـه مـن رسـول الله قُـرْبَـى قـريـبـةٌ ومـن نـصـرة الإسـلام مـجـدٌ مُـؤَثَّـلُ
فـكـم كـربـةٍ ذَبَّ الـزبـيـر بـسـيـفـه عن المصطفى والله يعطي ويُجْزِلُ
إذا كشفت عن ساقها الحرب حَشَّها بأبيض سباقٍ إلى الموت يُرْقِلُ[1]
فـمـا مـثـلـه فـيـهـم ولا كـان قـبـلَـه وليس يكون الدهرَ ما دامَ يَذْبُلُ[2]

وقال عروة بن الزبير، قالت لي عائشة: كان أبواك من: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢]. ولنسأل خبير الرجال «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه: كم كان يعدل «الزبير» عنده؟ حين أَمَّ «عمرو بن العاص» مصر لفتحها وجد أنه بحاجة إلى مدد من الجند، فأرسل إلى «عمر» يستمدُّه، فأمَدَّه وكتب إليه يقول: لقد أمددتك بأربعة آلاف رجل، عليهم أربعة رجال، كل واحد منهم بألف، وكان الأربعة: «الزبير بن العوام» و«عبادة بن الصامت» و«المقداد بن الأسود» و«مسلمة بن مخلد». وهكذا قدَّره «عمر»، وكفى بذلك فخراً لمن افتخر!

وقال ابن الأثير[3]: [وشهد «الزبير» الجمل مقاتلاً لعلي، فناداه «علي» ودعاه، فانفرد به، وقال له: أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ، فنظر إليَّ وضحك وضحكت، فقلت أنت: لاَ يَدَعُ ابن أبي طالب زَهْوَه، فقال: (**ليسِ بمُزهٍ، ولَتُقَاتِلَنَّهُ وأنت له ظالم**)، فذكر «الزبير» ذلك، فانصرف عن القتال، فنزل بوادي السباع، وقام يُصَلِّي، فأتاه «ابن جُرْموز» فقتله، وجاء بسيفه إلى «عليٍّ» فقال: إن هذا سيف طالما فَرَّج الكرب عن رسول الله ﷺ، ثم قال: بَشِّرْ قاتل ابن صفية

(١) يُرْقِل: يسرع.
(٢) يَذْبُلُ: جبل بنجد، والأبيات في الاستيعاب (٢/ ٥١٤، ٥١٥).
(٣) أسد الغابة (٢/ ٢٦٢).

بالنار[١]. وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ست وثلاثين، وقيل: إن ابن جرموز استأذن على «عليٍّ»، فلم يأذن له، وقال للآذن بَشِّرْهُ بالنار فقال:

أتيت عليّاً برأس الزبَيْـ ... ـرِ أرجو لديه به الزُّلْفَهْ
فبَشَّرَ بالنار إذ جئتُهُ ... فبئس البشارة والتُّحْفَهْ

وقيل: إن «ابن جرموز» حين سمع ذلك قتل نفسه، فخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

وكانت تحت «الزبير» حين قتل «عاتكة بنت زيد»، وهي من الشواعر فقالت ترثيه:

غَدَرَ ابن جُرموز بفارس بُهْمَةٍ[٢] ... يوم اللقاء وكان غير مُعَرَّدِ[٣]
يا عمرو لو نبهتَه لوجدتَه ... لا طائشاً رعش الجَنان ولا اليَد
كم غمرة قد خاضها لم يَثْنِهِ ... عنها طِرادُك يا بن فَقْعِ[٤] القَرددِ[٥]
ثكلتك أمُّك إن ظفرت بمثله ... مِمَّن مضى مِمَّن يروح ويغتدي
واللَّهِ ربِّك إن قتلت لمسلماً ... حَلَّت عليك عقوبَةُ المتعمِّدِ[٦]

وكذلك حزنت «أسماء» لمصرعه، لما كان بينهما من العشرة، وكيف تنسى ابنة «الصديق» الفضل الذي كان بينهما؟ وقتل عن ست وستين أو سبع وستين، والله أعلم، وصحيح أن «الزبير» كان مبشراً

(١) انظر تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢١).
(٢) البُهْمَةُ: الأمر المعضل.
(٣) المعَرَّد: الفار، والتعريد: الفرار.
(٤) الفَقْعُ: الكمأة البيضاء الرخوة.
(٥) القَرْدَد: الأرض الغليظة المرتفعة.
(٦) الأبيات في أسد الغابة (٥/ ٣٣٨).

بالجنة، لكن قاتله «عمرو بن جُرْموز» ـ شُلَّت يمينه ـ أعجله إليها، وكان قتله سبباً ليدخله النار، وبئس المصير. رحم الله «الزبير» و«أسماء» وجزاهما أوفى الجزاء.

obeikandl.com

زيد بن أرقم بن زيد رضي الله عنه

ذُو الأُذُنِ الواعية

صحابي، أنصاري، خزرجي، من بني الحارث بن الخزرج، كان له عدد من الكُنَى، منها: «أبو عمر» و«أبو عامر» و«أبو سعد» و«أبو سعيد» وقال الواقدي، والهيثم بن عدي: «أبو أنيسة».

كان يتيماً في حجر الشاعر النقيب «عبد الله بن رواحة» ثالث الأمراء الشهداء يوم مؤتة، وأما الأميران الآخران، فهما «زيد بن حارثة» حبُّ رسول الله ﷺ، و«جعفر بن أبي طالب» ذو الجناحين، وأبو المساكين، وأشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً برسول الله ﷺ.

ولندع ابن جرير يحدثنا[1] عن علاقة «زيد بن أرقم» بعبد الله بن رواحة: [حدثنا ابن حُمَيْد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنه حدَّث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجْره، فخرج في سفره ذلك - يعني يوم خروجه إلى مؤتة - مُرْدَفي على حقيبة رحله، فوالله! إنه ليسير ليلةً إذ سمعته وهو يتمثل أبياته هذه:

إذا أدَّيْتِني وحملتِ رحلي ... مسيرةَ أربع بعد الحساءِ

فشأنُك أنعُمٌ وخَلاكِ ذمٌّ[2] ... ولا أرجعْ إلى أهلي ورائي

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨).

(٢) خَلاكِ: فارقكِ.

وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشأم مشتهي الثَّواءِ
وردَّكِ كل ذي نَسَب قريبٍ إلى الرحمٰن منقطع الإخاءِ
هنالك لا أُبالي طلعَ بَعْلٍ ولا نخلٍ أسافلها رِوَاءِ

قال: فلما سمعتهن منه بكيتُ، فخفقني بالدرة، وقال: ما عليك يا لُكَعُ! يرزقني الله الشهادة، وترجع بين شعبتي الرحل]. وصدق حدس «ابن رواحة»، لقد خرج ولم يعد؛ لأن الله تعالى ألحقه بالشهداء في عليين ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [المطففين: ١٩ـ ٢٢]. وعاد «زيد» وحده بعد أن فقد حنان الأب وعطفه للمرة الثانية، ولكن الله أحَنُّ وأرحمُ؛ بل هو أرحم الراحمين.

ولم يلبث «زيد» حتى لمع نجمه في سماء الأنصار، في وقت مبكر، وهو ما يزال حدثاً، فما المناسبة التي لمع فيها نجم هذا الصحابي الجليل؟

قال العلامة الآلوسي في تفسيره الموسوم بـ(روح المعاني)[1] عند تفسيره لسورة «المنافقين» فقال: [أخرج الترمذي وصححه، وجماعة عن زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، وكان معنا ناس من الأعراب، فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقونا إليه، فيسبق الأعرابي أصحابه، فيملأ الحوض ويجعل حوضه حجارة، ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، فأتى رجل من الأنصار أعرابياً فأرخى ذمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه، فانتزع حجراً ففاض، فرفع الأعرابي خشبة، فضرب رأس الأنصاري فشجه، فأتى «عبد الله بن أبي» رأس المنافقين، فأخبره، وكان من أصحابه فغضب، وقال:

(١) روح المعاني: (٢٨/ ١١٤).

لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، يعني: الأعراب، ثم قال لأصحابه: إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل، قال «زيد»: وأنا رِدْفُ عمي، فسمعت «عبد الله» فأخبرت عمي، فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام، فحلف وجحد وصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم وكذبني، فجاء عمي إليَّ فقال: ما أردت إلى أن مقتك وكذبك المسلمون؟ فوقع عليَّ من الهم ما لم يقع على أحد قط، فبينما أنا أسير وقد خفضتُ رأسي من الهم إذا أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي، ثم إن «أبا بكر» رضي الله تعالى عنه ـ لحقني فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال لي شيئاً إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي، فقال: أبشر، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ حتى بلغ ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾... ثم أضاف الآلوسي[1]: وجاء من عدة طرق أن «عبد الله بن عبد الله بن أبي» ـ وكان مخلصاً ـ سَلَّ سيفه على أبيه عندما أشرفوا على المدينة فقال: والله، عليَّ ألَّا أغمده حتى تقول: «محمد» الأعز وأنا الأذل، فلم يبرح حتى قال ذلك.

وفي رواية: أنه رضي الله تعالى عنه ـ وقف والناس يدخلون حتى جاء أبوه، فقال: وراءَك، قال: ما لك؟ ويلك! قال: والله، لا تدخلها أبداً إلا أن يأذن رسول الله ﷺ، ولتعلمن اليوم الأعزَّ من الأذلِّ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ، فشكا إليه ما صنع ابنه فأرسل إليه النبي ﷺ: **(أن خَلِّ عنه يدخل)** ففعل].

وعن جابر بن عبد الله أن لما بلغ رسول الله ﷺ ما قال «ابن أبي»

(١) تفسير الآلوسي (٢٨/١١٦).

قام «عمر» رضي الله تعالى عنه فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: (**دعه، لا يتحدث الناس أن «محمداً» يقتل أصحابه**). وذكر ابن الأثير[١]: فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١]، فبعث إليَّ - يعني: زيداً - رسول الله ﷺ فقرأها عليَّ، ثم قال: (**إن الله قد صَدَّقك**)[٢]. وروى (زيد) أحاديثاً كثيرة عن النبي ﷺ، وهو معدود في خاصة أصحابه، وشهد (صفين) مع «علي» رضي الله عنه ولما جيء برأس «الحسين» رضي الله عنه إلى «ابن زياد جعل ينكت بقضيب بين شفتي «الحسين»، فلما رآه «زيد بن أرقم» لا يرفع قضيبه قال له: اعْلُ بهذا القضيب، فوالذي لا إله غيره، لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم بكى، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فخرج وهو يقول: أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم «الحسين بن فاطمة» وأمرتم «ابن مرجانة» فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم[٣]. ومات «زيد» في الكوفة سنة ثمان وستين، وقيل: بعد مقتل «الحسين» بقليل، رحمه الله تعالى.

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٢٣٣).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٣١٢).
(٣) أسد الغابة (٢/ ٢٤).

زيد بن ثابت بن الضَّحَّاك ﷺ

أعلم الصحابة بالفرائض

صحابي، أنصاري، خزرجي، نجاري، أبوه «ثابت بن الضحاك» وأمه «النَّوَار بنت مالك بن معاوية» له عدد من الكنى: أبو سعيد، أبو عبد الرحمٰن، أبو خارجة. وقتل أبوه يوم بعاث وله ست سنوات، ولما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجراً كان عمر «ثابت» إحدى عشرة سنة، ولم يشهد بدراً ولا أحداً لصغره، وكانت غزوة الخندق أول مشاهده مع رسول الله ﷺ، وكان ينقل التراب مع المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: **(إنه نعم الغلام)**، ويوم تبوك كانت راية بني مالك بن النجار مع «عُمَارَة بن حزم» فأخذها رسول الله ﷺ منه، ودفعها إلى «زيد بن ثابت» فقال «عُمَارة»: يا رسول الله، بلغك عني شيء؟ قال: **(لا، ولكن القرآن مُقَدَّمٌ، وزيد أكثر أخذاً للقرآن منك)**[1]، ورمي يوم اليمامة بسهم لم يضره. وكان «زيد» يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، وكذلك الكتب الأخرى، وحين وصلت إلى رسول الله ﷺ كتب بالسريانية أمر زيداً فتعلَّمها، وكتب بعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى ـ لأبي بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما.

وكان عالماً بأسباب النزول، وقد أوكل إليه الصديق مهمة توحيد المصاحف، وكذلك «عثمان» رضي الله عنهما، وتعلم العبرانية بعد السريانية، وكان من أعلم الصحابة والراسخين في العلم[2].

---

(١) الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٢١).
(٢) أسد الغابة (٢/ ٢٣٥).

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **(أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم «عليّ بن أبي طالب»، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت[1]، ألا وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)**.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ولهذا اهتدى «زيد» به إلى الرأي الصائب، يوم اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة للنظر فيمن يخلف رسول الله ﷺ.

قال المهاجرون: نحن أحق أن نخلف رسول الله ﷺ وأولى أن يكون لنا الأمر من بعده، وقال بعض الأنصار: بل نحن أجدر بهذا الأمر منكم، وقال آخرون من الأنصار: الرأي أن تكون الخلافة فينا وفيكم معاً، فإن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل أحدكم على عمل ضم إليه واحداً منا. وقام «بشير بن سعد» والد «النعمان بن بشير» فقال: يا معشر الأنصار، ألا إن محمداً من قريش، وقومه أحق به وأولى، وأيم الله، لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.

وقام «زيد بن ثابت» رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار، إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، فيكون خليفته منهم، وإنا كنا أنصار رسول الله ﷺ، فنكون أنصاراً لخليفته من بعده وأعواناً له.

وقُطِعَ دابر الفتنة، وقُبِرَت في مهدها بفضل حكمة «زيد» وذكائه الوقَّاد، وتقدم الناس إلى «أبي بكر» فبايعوه، لقد حفظ «زيد» القرآن

(١) ولهذا أخذ الشافعي بقوله في الفرائض.

فحفظه الله من الزلل، وألهمه سبيل الرشاد.

وكان «زيد» في أهله من أَفْكَهِ الناس، وأَزْمَتِهِمْ إذا كان في القوم[1]. ولَّاه «عثمان» على بيت المال، وكان «عثمانياً»، ولم يشهد مع «عليٍّ» حروبه إلا أنه كان يظهر فضل «عليٍّ» ويعظم شأنه، روى عنه من الصحابة: ابن عمر، وأبو سعيد، وأنس، وأبو هريرة، وغيرهم، ومن التابعين: سعيد بن المسيَّب، وسليمان بن يسار، وسواهما. ويوم وفاته قال أبو هريرة: اليوم مات خَيْرُ هذه الأمة، وعسى أن يجعل الله في ابن عباس خلفاً منه.

وقال حسان يرثيه:

فمن للقوافي بعد حسان وابنهِ؟ ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت؟

رحمه الله تعالى، وأجزل مثوبته.

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (٩/ ١٢١)، وأزْمَتِهم: أوقرهم.

زيد بن حارثة بن شراحيل رضي الله عنه

حِبُّ النبي ﷺ

صحابي، مولى رسول الله ﷺ وحِبُّه، أبوه «حارثة بن شراحيل بن كعب» وأمه «سُعْدَى بنت ثعلبة» من طيء.

كان «حارثة» يحب ابنه «زيداً» حباً شديداً، وقد استأذنته امرأته «سُعْدى» في زيارة أهلها، وأصطحاب ولدهما معها، فأذن لها. وأثناء الزيارة أغارت خيل بني القَيْن بن جسْر، فأخذوا «زيداً» في السبي، وباعوه في سوق عكاظ، فاشتراه «حكيم بن حزام» وأعطاه لعمته السيدة «خديجة بنت خويلد» فوهبته لزوجها «أبي القاسم» ﷺ قبل البعثة وهو ابن ثماني سنوات، فأعتقه وتبنَّاه، وصارَ يُدْعى «زيد بن محمد» حتى حُرِّمَ التبني بقول تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

ولما أعلمت «سُعْدَى» زوجها بما جرى لزبير، حزن عليه أشد الحزن، وأنشد:

بكيتُ على زيد ولم أُدْرِ ما فعل ... أحيٌّ يرجى أم أتى دونه الأجلْ؟
فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً ... أغالك سهل الأرض أم غالك الجَبلْ؟
فيا ليت شعري هل لك الدهرَ رجعةٌ ... فحسبي من الدنيا وجوعك ليَ بَجَلْ
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتَعْرِضُ ذكراه إذا قارب الطَّفَلْ
وإن هبت الأرواح هَيَّجْن ذكره ... فيا طول ما حُزْني عليه ويا وجَلْ
سأُغمِلُ نَصَّ العيس في الأرض جاهداً ... ولا أسأم التطواف أو تسأمُ الإبلْ

حيـاتـي أو تـأتـي علـيَّ منـيَّـتـي ... وكـل امـرئ فـانٍ وإن غَـرَّه الأَمَـلْ
سأُوصي به قيساً وعَمْراً كليهما ... وأوصي يزيداً ثم من بعده جَبَلْ[1]

وفي موسم الحج التقى «زيد» بناس من كلب، قبيلة أبيه، ولما تعارفوا سألهم أن يحملوا إلى أهله الأبيات التالية:

أحِنُّ إلى قومي وإن كنتُ نائياً ... فإني قَعِيدُ البيت عند المشاعرِ
فكُفُّوا من الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تُعْمِلوا في الأرض نَصَّ الأباعرِ
فإني بحمد الله في خير أسرةٍ ... كرامِ مَعَدٌّ كابراً بعد كابرِ[2]

فلما فرغوا من الحج، وعادوا إلى بلادهم، أخبروا «حارثة» وأخاه «كعباً» بموضع «زيد»، فَانْطَلَقا إلى مكة يرجوان فداءه، حتى إذا دخلا على النبي ﷺ قالا له: يابن عبد المطلب، يا بن هاشم، يابن سيد قومه، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا، وأحسن إلينا في فدائه. فقال: (من هو؟)، قالوا: «زيد بن حارثة»، فقال رسول الله ﷺ: **(فهلا غير ذلك)** قالوا: ما هو؟ قال: **(ادعوه وخَيِّروه، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله، ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً)**، قالا: قد زدتنا على النَّصَفِ وأحسنتَ، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: **(هل تعرف هؤلاء؟)** قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي، قال: **(فأنا مَنْ قد عرفت، ورأيتَ في صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما)**، قال: ما أريدهما، وما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وأهل بيتك؟ قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً، ما أنا بالذي أختار عليه

(١) الاستيعاب (٢/ ٥٤٣).
(٢) الاستيعاب (٢/ ٥٤٤).

أحداً أبداً. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحِجْر، فقال: **(يا من حضر، اشهدوا أن زيداً ابني، يرثني وأرثه)**، فلما رأى ذلك أبوه وعمه، طابت نفوسهما وانصرفا.

واختلف فيمن أسلم أولاً، فقال الزهري: ما علمنا أحداً أسلم قبل «زيد بن حارثة» وقال عبد الرزاق: لم يذكره غير الزهري.

وقال أبو عمر[١]: وقد روي عن الزهري من وجوه: أول من أسلم «خديجة». وقال ابن إسحاق: إن «علياً» بعد «خديجة»، ثم أسلم بعده «زيد» ثم «أبو بكر». وقال غيره: «أبو بكر»، ثم «علي»، ثم «زيد» رضي الله عنهم[٢].

وشَبَّ «زيد» في كنف رسول الله ﷺ، وأصبح أهلاً للزواج، ولكن من هي سعيدة الحظ التي ستتزوجه؟ لقد اختار له رسول الله ﷺ سيدة أبناء عبد شمس، إنها «زينب بنت جحش»، بنت عمته «أميمة بنت عبد المطلب»، فكيف تلقَّت «زينب بنت جحش» هذا الاختيار؟ بادىء ذي بَدْء، أبدت الدهشة والاستنكار، ذلك أنها كانت حديثة عهد بالإسلام، وما زال تفكيرها أسير تقاليدَ وعاداتٍ وأوهام غرستها الجاهلية في عقول الناس، تقضي بوجود طبقة للسادة، وأخرى للعبيد، هم خدم وأتباع للطبقة الأولى، ولم تكن سيدة أبناء عبد شمس تستطيع أن تتقبل مجرد فكرة الزواج من رقيق أسود البشرة، وهي كما قيل ذات منصب وجمال، وحسب ونسب، وعزٍّ وجاه، كما أن فهمها قَصَّر يومها عن إدراك حقيقة أن الإسلام إنما جاء لإزالة الفروق بين طبقات المجتمع، وأن لا فضل

---

(١) الاستيعاب (٢/ ٥٤٦).

(٢) الآراء المذكورة في أسد الغابة (٢/ ٢٣٩).

لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأمير على سوقه إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ولما قال لها رسول الله ﷺ: «**قد رضيتُه لك**»، ردَّت بأنفةٍ موروثةٍ عن عهد ما قبل الإسلام: ولكني لا أرضاه لنفسي، ولم يغضب رسول الله ﷺ، ولكنه اعتصم بالحلم الذي كان إحدى سجاياه. إن أمر رسول الله ﷺ واجب الطاعة، لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ونزل جبريل عليه السلام يحمل قرار السماء في حسم هذا الأمر، وكان نصّ القرار الإلٰهي: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. فكان للقرار جانبان: **أولهما**: إذا قضى الله ورسوله ﷺ أمراً فلا تعقيب عليه ويجب تنفيذه، **وثانيهما**: أن عصيان الله ورسوله ﷺ ضلال مبين، يأباه من كان من المؤمنين. وعلمت الشابة المؤمنة «زينب» أنها المَعْنِيَّة بالآية الكريمة هذه، ولم تجد سبيلاً إلا أن تنصاع لأمر الله ورسوله ﷺ، ووافقت على الزواج من «زيد». إن المعيار الذي أقام عليه رسول الله ﷺ اختيار «زيد» زوجاً لابنة عمته، له أساس متين، ففي «زيد» صفات لم تجتمع كلها عند غيره: خُلُقٌ حَسَنٌ، وعفةُ يدٍ ولسانٍ، وحَيَوِيَّةٌ وشبابٌ، وعقلٌ حُشِيَ حِكْمَةً وعلماً، وفوق كل هذا، إنه حِبُّ رسول الله ﷺ، فيا لها من شِيَم ومناقب، قَلَّ أن تجتمع في طالب زواج. وتم الزواج على بركة الله، وبمباركة رسول الله ﷺ.

وحَسِبَ «زيد» أن السعادة أضحت ملك يمينه، بعد أن جَمَعَ الزواج بين «زينب» وبينه تحت سقفٍ واحدٍ، وأن العطف والحنان اللذين فقدهما حين سُبِيَ صغيراً، سيجده عند «زينب» شريكة حياته، ولكن هيهات، فقد تبيَّن أن موافقتها على الزواج من «زيد» كانت

سطحيةً وهشَّةً، وخالية من مستلزمات الزواج، وما يفرضه من حقوق وواجبات على طَرَفَيْه. فبدل الحب وجد نفوذاً، وبدل الحنان لقي جفوةً وصدوداً، فَفزِعَ «زيد» إلى الحبيب الأعظم ﷺ، وبسط إليه ما يعانيه من تصرفات «زينب»، فهي لا تستطيع أن تنسى رِقَّ «زيد» وعبوديته، وأمره رسول الله ﷺ أن يصبر، فالتزم «زيد» بتلك الوصاة الغالية، ورجع إلى بيته مؤملاً أن تعمد «زينب» إلى تغيير سلوكها تجاهه غير أن معاملتها ازدادت سوءاً، وعاد «زيد» إلى رسول الله ﷺ ملاذِه، فقال له: (**هل رابك منها شيء؟**)، ولما كان الصدق من شمائل «زيد» قال: لا، والله، يا رسول الله، ما رابني منها شيء، ولا رأيت إلا خيراً، إن «زينب» تتعظَّم عليَّ لشرفها، وإن فيها كِبْراً، وهي تؤذيني بلسانها، فأمره أن يكرر محاولات التودد إليها، ويصبر. ولم يكن بوسع «زيد» أن يخالف أمر رسول الله ﷺ، حتى إذا لم تثمر محاولاته، ارتد إلى رسول الله ﷺ وسأله موافقته على مفارقتها، فإن حل مشكلته مع «زينب» يكمن في أبغض الحلال، لا شيء سواه، ولما رأى رسول الله ﷺ ثقل ما يعانيه «زيد» وأحسَّ بما يلاقيه من الألم والعذاب، وافقه على طلاقها، وافترق الزوجان.

كانت «زينب» مؤمنة عابدة أواهة، وكانت تقطع أيامها، في النوافل، من صلاة وصيام، وتلاوة لكتاب الله، وكثرة مناجاة ربها، وكان هذا يمنحها الأمان، إلا أن نفورها من «زيد» لم يكن بوسعها أن تخفيه، واعتدَّت، حتى إذا حَلَّت بعث رسول الله ﷺ من يذكرها عليه، فمن كان السفير بينهما؟ إنه حِبُّ رسول الله ﷺ «زيد» زوجها السابق. فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ جميعهن وتقول لهن: زوَّجَكُنَّ أهلوكن، وزوجني الله من فوق سبع سمٰوات[1].

(١) الترمذي في التفسير (رقم ٣٢١٠).

ثم زوَّجه رسول الله ﷺ من «أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط» ثم فارقها، وتزوج «أم أيمن، بركة الحبشية «فولدت له: «أسامة بن زيد).

وكان «زيد» من أمهر الفرسان، ويتمتع بشجاعة فائقة، فكان رسول الله ﷺ إذا أرسله في غزاة جعله أمير القوم. تقول السيدة عائشة: (ما بعث رسول الله ﷺ «زيد بن حارثة» في سرية إلَّا أمَّره عليهم، ولو بقي لاستخلفه بعده)[1]، فكان أميراً في معارك (الحَجُوم) و(الطَّرف) و(العِيص) و(حُسْمى)، ثم جَهَّز رسول الله ﷺ جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل لقتال الروم في مؤتة، وقال للجند: (عليكم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، فقال جعفر: يا رسول الله، تستعمل زيداً عليَّ؟ فقال له رسول الله ﷺ: **(امْضِ فإنك لا تدري أي ذلك خير)** ومضى جيش الأمراء الثلاثة، فرزقهم الله الشهادة، رحم الله «زيداً» و«جعفراً» و«ابن رواحة» وجزاهم خيراً.

(١) أخرجه ابن أبو عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢٥١)، وأسد الغابة (٣/ ٢٤٠).

زيد بن الخطاب ﷺ

اللاهث وراء الشهادة

صحابي، قرشي، عدوي، أبوه «الخطاب بن نفيل» وأمه «أسماء بنت وَهْب» الأسدية، وأخوه الصحابي الجليل، والخليفة الثاني لرسول الله ﷺ «عمر بن الخطاب» ﷺ، وكان أسَنَّ من «عمر»، وسبقه إلى الإسلام، ويكنى «أبا عبد الرحمٰن».

وبعد وصول رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة، آخى بين المهاجرين والأنصار، فكان أخو «زيد» من الأنصار «معن بن عدي» الأنصاري العجلاني، ونال كل من الأخوين الشهادة يوم اليمامة بعد أن أدَّيا ثمنها كما ينبغي له أن يُؤَدَّى.

وكانت الشهادة تراود أحلام «زيد»، وقد بَصُرَ به أخوه «عمر» يوم «أُحُدٍ» وهو يقاتل دون درع، فقال له: خذ درعي، فقال له زيد: إني أريد من الشهادة ما تريد، فتركاها جميعاً، إنهما أخوان غير شقيقين، لكن جوهرهما واحد، فقد كانت الشهادة لهما مطلباً لم يَحِنْ أوانه يوم أحد.

وعرف «زيد» برجاحة العقل، وحدة الذكاء، وسلامة الفطرة، وعفة في اليد واللسان، ولم يتردد في قبول الإسلام؛ لأنه دين الفطرة، والفطرة تأبى سواه. وأما شجاعة «زيد» فكان العقل حاكمها، فهي ترفض التهور، ولا تقبل بالنكوص.

وكان «زيد» من المهاجرين الأوائل إلى المدينة، ولما وصل

رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً، كان «زيد» في طليعة المهاجرين والأنصار الذين خرجوا لاستقباله، استقبالاً منقطع القرين، فقد خرج أهل المدينة عن بكرة أبيهم ليكونوا في انتظار وصول أعزّ الضيوف، وأكرم الخلق قاطبة.

وكان «زيد» حريصاً على المشاركة في بناء المسجد النبوي الشريف مع إخوانه من المهاجرين والأنصار، حتى إذا استوى بناؤه، واكتمل تجهيزه، واظب «زيد» على حضور الجماعة خلف رسول الله ﷺ، فإذا قضيت الصلاة، فإنه لم يكن ليتخلف عن المجالس التي يحدث فيها رسول الله ﷺ أصحابه عن أمور دينهم ودنياهم.

وإذا دعا داعي الجهاد، لبى «زيد» نداءه، ومعه عدته من السلاح والعتاد، وكل ما يلزم المقاتل، ويمكنه من أداء واجبه على أكمل وجه.

وكان «زيد» مقاتلاً عنيداً، وأمام خصمه ثلاثة خيارات: إما أن يقتله وإما أن يفرَّ من أمامه، وإما أن يقتل بسيف «زيد» إذا أصابه، وكان في قامة «زيد» طول بيِّن يجعل خصمه في متناول سيفه، دون أن يكون «زيد» في متناول سيف خصمه، لذلك كان على ملاقيه أن يرضى من الغنيمة بالغرار، وإلا فمصيره الموت الزؤام. وشهد «زيد» وأخوه «عمر» ﷺ مع رسول الله ﷺ يومَ بدر الأغرَّ، واكتحلت عيون المسلمين يومئذٍ برؤية رؤوس الشرك تتدحرج على ثرى بدر مضرجة بالدماء القذرة التي كانت تمد أجسادهم بالحياة إلى أن مَنَعتهم السيوف المؤمنة من استمرارها بعون الله ومشيئته.

ولما خرج المسلمون إلى «أُحُدٍ» كان «زيد» مع الذين ثبتوا، وعَزَّ عليه ما صنعه رماة المسلمين حين عصوا أوامر نبيهم ﷺ،

وتركوا مواقعهم على الجبل بعد أن أمرهم ألَّا يبرحوها، كما شَقَّ عليه فرار بعض المسلمين، أمام أعداء الله والدين، وكانت الهزيمة الأليمة.

وشهد «زيد» الخندق، و«الحديبية» وجميع المشاهد التي خرج إليها رسول الله ﷺ، ثم جاء من أقصى «اليمامة» رجل يقال له: (الرَّجَّال[1] بن عُنْفُوَة) ـ ويعرف باسم «نهار» ـ: إلى رسول الله ﷺ، فأسلم، وحفظ بعض آيات القرآن وتعلم بعض أحكام الدين، ثم استأذن النبي ﷺ إلى اليمامة فأذن له. ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، خَفَر «الرَّجَّال» بذمته، وحنث بعهده الذي عاهد عليه النبي ﷺ. ثم أتى «الصديق» رضي الله عنه ليخبره أن أهل اليمامة التفُّوا حول «مسيلمة الكذاب» وآمنوا بنبوته الكاذبة، ثم استأذنه ليكون رسوله إلى أهل اليمامة ليبصرهم بخطإ ما أقدموا عليه، فأعطاه «أبو بكر» الإذن بذلك، لكن اللعين وجد أمامه فرصة عظيمة حين رأى الكثرة الملتفة حول الكذاب الأثيم، فقرر أن يستغلها ويتخذ له مكاناً بين الكَذَبَة الملتفين حول «مسيلمة»، فلما وصل اليمامة أخبر بني حنيفة أن رسول الله ﷺ أخبره: أنه أُشْرِكَ مع النبي ﷺ في رسالته، فكان في فِرْيته أخطر على المسلمين من «مسيلمة» نفسه، ذلك أن معلن الكفر يعرفه الناس، ويتسنَّى لهم اتقاء ضرره، والحذر من شره، وأما مبطن الكفر، فكيف يَتَّقون أذاه وكُفْرُهُ غير بادٍ للعِيَان؟

واستطاع «الرَّجَّال» هذا الغادر الفاجر بخداعه ومكره أن يزيد من أعوان «مسيلمة» وأن يرصَّ من حوله الصفوف، وكان سرور

(١) الرَّجَّال: عند الطبري بالحاء أينما ورد، لكن القاموس المحيط ضبطه بالجيم، وقال: وهم من ضبطه بالحاء.

«مسيلمة» به جدَّ كبير، ولكن الله يمهل ولا يهمل، فقد مكروا ومكر الله والله خير الماكرين. فقد اتخذ «الصديق» ﷺ أخطر قرارته، وصمَّم على قمع فتنة المرتدين بكل ما أوتي من قوة حتى تعود أمر اليمامة وسواها إلى نصابها كما كانت عليه إبَّان حياة رسول الله ﷺ.

وجهَّز «الصديق» ﷺ جيشاً عظيماً للقضاء على «مسيلمة» وقَبْرِ الفتنة التي أثارها، وكان على رأس هذا الجيش سيف الله «خالد بن الوليد» وانطلق «خالد» بجيشه وكان بين صفوفه نخبة من كبار الصحابة ووجوههم، كعبد الله بن عمر، وعمه «زيد بن الخطاب» و«البراء بن مالك» و«ثابت بن قيس» و«أبي حذيفة بن عتبة» و«سالم مولى أبي حذيفة» و«أبي دجانة» و«أم عُمَارة» المازنية، وولدها «عبد الله بن زيد» و«وحشي بن حرب» الذي أراد أن يكفِّر عن قتله سيد الشهداء «حمزة بن عبد المطلب» يوم أحد، بقتل شر الناس «مسيلمة». وكانت لزيد رغبة ملحَّة في لقاء «الرَّجَّال» الدَّجَّال في ساحة القتال. وشاءت إرادة الله، أن يكون «الرَّجال» قريباً من طالبه «زيد».

وكان لواء المسلمين يوم اليمامة مع «زيد»، فلما رأى بعض المسلمين يلوذون بالفرار، جعل يصيح بأعلى صوته: اللَّهم، إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به «مسيلمة» و«محكم اليمامة»، حتى إذا حانت منه التفاتة بَصُرَ بالرَّجَّال عن جُنُب، فبادر إليه، وتبارز الرجلان، فقتل عدو الله الرَّجَّال بطعنة نجلاء وجهها «زيد» إليه، فأصابت منه مقتلاً، واستمر «زيد» في القتال، واستبسل أيَّما استبسال، ثم ضربه «أبو مريم الحنفي» ضربة بلَّغه بها الشهادة، فتقدم «سالم مولى أبي حذيفة» وخَطِفَ الراية من يده قبل أن تسقط، فقيل له: يا سالم، إنا نخاف أن نؤتى من قَبلِكَ،

فقال: بئس حامل القرآن أنا وإن أُتِيتُمْ من قَبلي!.

وبعد اليمامة أسلم «أبو مريم الحنفي»، ثم لقي «عمر» في خلافته، فقال له: إن الله أكرم «زيداً من بيدي، ولم يُهِنِّي بيده. يعني أبو مريم أنه إذ قتل «زيداً» بلَّغه إلى الجنة؛ لأنه شهيد فأكرمه، بينما لو قتل «زيد» أبا مريم لبلَّغه إلى النار فكان له مُهِيناً، وأي هوان أشد من النار؟

وقيل: إن الذي قتل «زيداً» يوم اليمامة هو: «سلمة بن صبيح» ابن عم أبي مريم، فقد قال: «أبو عمر بن عبد البر» في الاستيعاب: النفس أميل إلى هذا، ولو كان «أبو مريم قتل» زيداً» لما استقضاه «عمر»[1].

وأسفرت معركة اليمامة، عن مصرع كذَّابِها «مسيلمة» اشترك ثلاثة في قتله: «أبو دجانة» و«عبد الله بن زيد» و«وحشي بن حرب» كما قُتِلَ «المُحَكَّم بن الطفيل» محكم اليمامة، والساعد الأيمن لمسيلمة، قتله «عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق» رضي الله عنهما، وهكذا انطفأت نار الفتنة بعد أن أكلت رؤوس مُسعِّريها، واتخذ الله من المسلمين شهداء، منهم: «ثابت بن قيس» و«أبو دجانة» و«أبو حذيفة بن عتبة» و«سالم مولى أبي حذيفة» و«زيد بن الخطاب» كذلك، وآخرون سواهم، ولما نعي «زيد» لأخيه «عمر بن الخطاب» أمير المؤمنين، قال لابنه «عبد الله بن عمر» بعد عودته من ساحة المعركة: ألا هلكت قبل زيد[2]، هلك زيد وأنت حي، فقال: قد حرصتُ على ذلك أن يكون، ولكن نفسي تأخرتْ، فأكرمه الله بالشهادة.

---

(١) الاستيعاب (٢/ ٥٥١)، وانظر أسد الغابة (٢/ ٢٤٣).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣/ ٢٩٢).

وقال سهل: قال عمر: ما جاء بك وقد هلك زيد؟ ألا واريتَ وجهك عني، فقال: سأل الله الشهادة فأُعْطِيَها، وجَهَدْتُ أن تساق إليَّ فلم أُعْطَهَا.

وكان «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه إذا ذكر أخاه «زيداً» يقول: ما هبَّت الصبَا إلا وأنا أجد منها ريح زيد.

ولا غَرْوَ! فقد كان «زيد» أخاه الحبيب! وحين سمع «عمر» مراثي «مُتَمِّم بن نويرة» في أخيه «مالك» قال له: لو كنت أُحسن الشعر لقلتُ في أخي مثل ما قلتَ في أخيك، قال مُتَمِّم: لو أن أخي ذهب على ما ذهب عليه أخوك ما حَزِنتُ عليه، فقال عمر: ما عَزَّاني أحد بأحسن ما عزَّيتني به.

رحم الله «زيداً» و«عمر» و«ابن عمر» فإن سِيَرهم من أعطر السِّيَر.

زيد بن الدَّثِنة ﷺ

شهيد يوم الرجيع

صحابي، أنصاري، خزرجي، بياضي. كان من عشاق رسول الله ﷺ، حتى آخر لحظة في حياته.

وكان محباً لجهاد المشركين، وقد شهد بدراً، واكتحلت عيناه برؤية زعماء قريش وأكابر مجرميها، وقد أردتهم أسياف المسلمين صرعى على أرض بدر، ولم تغب عن ناظريه لحظة إلقائهم في القليب، سَاءَ لَهُمْ مستقراً ومقاماً. وعاد رسول الله ﷺ بجند الله إلى المدينة، ورايات النصر العظيم تخفق فوق رؤوسهم، وأكاليل الغار تزين جباههم، وكانت فرحة المؤمنين بنصر الله يومئذٍ مما تعجز الكلمات عن وصفها.

وأما قريش فانخزلت بفلولها إلى مكة، تجرجر أذيال الخيبة والعار، بعد أن لقيت أقسى اندحار، وعلى وجوه رجالها غبرة، ترهقها قترة، وما ظلمهم الله، فأولئك هم الكفرة الفجرة.

وخرج «زيد» إلى أحد، وشَقَّ عليه ما نزل برسول الله ﷺ من الأذى والجراح، وساءه تحول النصر الذي بدأتْ تباشيره في بدء القتال إلى هزيمة منكرة نزلت بالمسلمين في آخره بسبب عصيان رماتهم أوامر القائد الأعظم الذي أمرهم بالمرابطة على الجبل، ليحموا ظهور إخوانهم، وألَّا يبرحوا مواقعهم على أي حال كان اتجاه المعركة يسير، لكن بريق الغنائم خَطِف أبصارهم، وأغلق بصائرهم فلم يعوا خطورة مخالفة القائد، ولم تقتصر النتيجة على

الهزيمة فقط، وإنما التفَّ عليهم من خلف الجبل «خالد بن الوليد» قائد فرسان المشركين وفرسانه، وأعملوا فيهم السيوف حتى أبادوهم، وكانت الهزيمة المريرة. فلما كانت السنة الهجرية الرابعة، أتى رسول الله ﷺ وفد من عضل والقارة، وزعموا أن فيهم إسلاماً، وتبين بعدُ أنهم كانوا كاذبين. وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يبعث معهم من يعلمهم أمور الدين، ويقرئهم آيات الكتاب المبين، فرشَّح لهم ستة من أصحابه، هم: «زيد بن الدثنة» أخا بني بياضة بن عامر، و«عبد الله بن طارق» حليف بني ظَفَر من بَلِيٍّ، و«خالد بن البُكَيْر»، حليف بني عدي بن كعب و«عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح» أخا بني عمرو بن عوف، و«خبيب بن عدي» أخا بني جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف، و«مرثد بن أبي مرثد الغنوي» حليف «حمزة بن عبد المطلب»، وكان «مرثد» أمير القوم.

وخرج الوفد ومعهم الصحابة الستة، حتى إذا وصلوا الرجيع ـ وهو ماء لهذيل، بَرِحَ الخفاء، وبَيَّن للصحابة غدرهم، واستلوا أسيافهم للدفاع عن أنفسهم فقالوا لهم: إنا والله لا نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه على ذلك، وانقسم الصحابة إلى قسمين: ثلاثة وهم: مرثد وابن البكير وعاصم قالوا: لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً، فقاتلوهم حتى هلكوا جميعاً، وثلاثة وهم: خبيب وعبد الله وابن الدثنة رغبوا بالحياة، ثم مدوا أيديهم فاستأسروا لهم، فأوثقوهم في قِرَانٍ واحد، ومضوا بهم في الطريق إلى مكة، لكن «عبد الله بن طارق» انتزع يديه عند مَرِّ الظهران، ثم استل سيفه، فاستأخروا عنه، وراحو يرمونه بالحجارة حتى قتلوه، وقبره موجود بالظهران.

ومضوا بخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة إلى مكة، وباعوا خبيباً إلى حجير بن أبي إهاب التميمي، وهو أخو الحارث بن عامر

لأمه، وقد ابتاعه حجير لعقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه «الحارث بن عامر» الذي قتله «خبيب» ببدر، وأما «زيد بن الدثنة» فقد ابتاعه «صفوان بن أمية» شركة مع عدد من أبناء من قتل آباؤه في أحد ليقتلوه بهم.

ثم خرجت قريش بخبيب إلى التنعيم، فنصبوا له جذعاً، وصلبوه عليه بعدما استأذنهم أن يصلي ركعتين، فأذنوا له فصلاهما، وأصبح فعله سنة لكل مسلم يقتل صبراً؛ لأنه فعل ذلك في حياة رسول الله ﷺ، ولم يعترض على فعله، ولما فرغ من صلاته قام إليه أبو سِرْوَعَة بن الحارث بن عامر فقتله.

وبعث رسول الله ﷺ من ينزله عن خشبته، فلما رقي الخشبة، وحَلَّ وثاقه، سقطت جثته على الأرض، وحين نزل ليحملها لم يجد لها أثراً، وكأن الأرض قد ابتلعتها، فَسُمِّي: «بليع الأرض).

قال أبو جعفر الطبري في تاريخه[1]: وأما «زيد بن الدثنة» فإن «صفوان بن أمية» بعث به ـ فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق ـ مع مولى له، يقال له: «نسْطَاس» إلى التنعيم، وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع إليه رهط من قريش، فيه «أبو سفيان بن حرب»، فقال له «أبو سفيان» حين قُدِّم ليُقتل: أَنْشُدُك الله يا زيد، أتحب أن «محمداً» عندنا الآن مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ قال: والله، ما أحب أن «محمداً» الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي.

قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب «محمد» «محمداً»، ثم قتله «نِسْطاسُ». رحم الله

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٤٢).

«زيداً» وأسكنه الجنة مع «محمد» ﷺ بحبه له، وإنَّا لِنحب «محمداً» ﷺ أكثر من أنفسنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين، ولو كره الكافرون.

obeikandl.com

زيْد بن مهلهلِ بن زيد رضي الله عنه

صريع الحُمَّى

صحابي، طائي، نبهاني، اشتهر بزيد الخيل، وهو أحد الشعراء المخضرمين، وأحد المؤلفة قلوبهم، ثم أسلم وحسن إسلامه.

وفد على رسول الله ﷺ في وفد قومه طيءٍ فسأله عن اسمه فقال: «زيد الخيل» فغيَّره، وسماه: «زيدَ الخَيْر»، ثم قال له: **(ما وصف لي أحدٌ في الجاهلية، فرأيته في الإسلام إلا رأيتُه دون الصفة لَيْسَكَ)** يريد غيرك، وقطع له أرضين، وكانت المدينة وَبِئَةً، فلما خرج من عند النبي ﷺ قال: **(إن ينْجُ زيد من أم مَلْدَم[1])**، فلما بلغ بلده مات، وكان يكنى: «أبا مُكْنِفٍ»، وكان له ابنان، يقال لهما: مُكْنِفٌ وحُرَيْثٌ، أسلما وصحبا النبي ﷺ، وشهدا قتال الردة مع «خالد بن الوليد»[2]. وحَمَّادُ الراوية مولى مُكْنِفٍ.

وذكر ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق[3]، وابن الأثير في أسد الغابة[3]: روى الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فأقبل راكب حتى أناخ، فقال: يا رسول الله، إني أتيتك من مسيرة تسع، أَنْصَبْتُ راحلتي، وأسهرتُ ليلي، وأظمأت نهاري، أسألك عن خصلتين، فقال له النبي ﷺ:

---

(١) أُمُّ مَلْدَم: كنية الحمى.

(٢) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ٢٨٦).

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٩)، وأسد الغابة (٢/ ٢٥٦).

(**ما اسمك؟**) قال: أنا زيد الخيل، قال: (**بل أنت زيد الخير، فسل**) قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد، فقال له رسول الله ﷺ: (**كيف أصبحت؟**) فقال: أصبحتُ أحب الخير وأهله، ومن يعمل به، فإن عملت به أُثبت بثوابه، وإن فاتني من شيءٌ حزنتُ عليه، فقال له النبي ﷺ: (**هذه علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد، ولو أرادك بالأخرى لهيأك لها، ثم لا يبالي الله في أيِّ وادٍ هلكتَ**).

ويعد «زيد الخيل» من الشعراء المحسنين، والخطباء اللَّسِنين، وأما في الشجاعة والكرم، فَحَدِّثْ عنه ولا حرج. وقد أسر في جاهليته (عامر بن الطفيل) فجزَّ ناصيته، ثم خلَّى سبيله.

وقد وقعت بينه وبين الشاعر «كعب بن زهير» مهاجاة، نشأت من أن «كعباً» اتهمه بأخذ فرس له، فقال «كعب» في ذلك:

لقد نال زيدُ الخيل مالَ أخيكم ... فأصبح زيدٌ بعد فقر قد اقتنى

فأجابه «زيد الخيل»:

أفي كل عامٍ قائمٌ تبعثونه ... على مِحْمَرٍ[1] عَوْدٍ[2] أُثِيبَ وما رُضَى[3]

تقول: أرى زيداً وقد كان مُصْرِماً ... أراه لعمري قد تَمَوَّل واقتنى

وذاك عطاءُ الله في كل غارةٍ ... مُشَمِّرةٍ يوماً إذا قُلِّقى الخُصَى[4]

---

(١) المِحْمَرُ: الفرس اللئيم يشبه الحمار في بطئه.

(٢) العَوْد: المُسِنُّ.

(٣) رُضى: فعل مبني للمجهول من الرضا، على لغة طيء، يكرهون الياء بعد الكسرة فيفتحون ما قبلها. لتنقلب إلى ألف لخفتها.

(٤) قلقى الخُصى: من شدة الرعب والفزع.

فلولا زهير أن أكدِّر نعمةً لقاذعتُ كعباً ما بَقَيْتُ وما بقَا[١]

وقد اخْتُلِفَ في وفاة «زيد الخيل» فعند ابن قتيبة في الشعر والشعراء كانت وفاته بعد منصرفه من لقاء رسول الله ﷺ، وبلوغه بلده كما تقدم، وقال ابن الأثير في موسوعته[٢]: [ولما انصرف من عند النبي ﷺ أخذته الحمَّى، فلما وصل إلى أهله مات، وقيل: بل توفي آخر خلافة «عمر»]، إن الحرب لم تصرعه، ولكن الحمَّى هي التي صرعته. رحم الله «زيد الخيل» بل «زيد الخير» كما سماه رسول الله ﷺ، وكل ساعٍ إلى الخير، وكل فاعل للخير إلى يوم الدين.

(١) فتح القاف في بقيت وبَقَا على لغة طيء، والأبيات في الشعر والشعراء (١/ ٢٨٨).
(٢) أسد الغابة (٢/ ٢٥٦).

obeikandl.com